جغرافية الموسيقى (الغناء) والرقص في العالم

الاستاذ المتمرس الدكتور

عبد علي الخفاف *

(١) الغرض :

يتخلص الغرض من هذا البحث في معرفة دور المكان في التعبير الوجداني للشعوب المتمثل بالموسيقى (الغناء) والرقص [*]

(٢) المشكلة :

وضع الباحث لاجل تحقيق الغرض الذي حدده ، المشكلة العلمية بالصيغة الاتية:

- كيف ولماذا تتباين انماط التعبير الوجداني المتمثلة بالموسيقى (الغناء) والرقص بين شعوب العالم ؟

(٣) الفرضية :

الاجابة الاولية لهذا السؤال والتي يمكن ان تثبتها خطوات هذا البحث او تقود الى تعديلها او رفضها هي : تتباين موسيقى الشعوب وحركاتها التعبيرية المتمثلة بالرقص بفعل تباين المحيط الجغرافي الذي يخلق البيئة الطبيعية بعناصرها المادية وعناصرها الحية ، النباتية والحيوانية ، ويحدد لدرجة كبيرة هذا التباين تاريخ الشعوب الذي لا شك من تاثيره في اساليب التعبير الوجداني ومنها الموسيقى (الغناء) والرقص

(٤) تحديد المفاهيم :

لقد تناولت العديد من الادبيات موضوع الموسيقى والغناء والرقص فركزت الفلسفة على هذه الفنون الجميلة وطرحت الكثير من وظائفها المفيدة للانسان ، جسديا وروحيا وهكذا شان علم النفس وعلم الاجتماع ، وكذلك دراسات الاديان بشكل عام والفقه الاسلامي بشكل خاص فتناول ممارسة هذه الفعاليات وحدد ما يصلح منها ، اما التاريخ والتاريخ القديم ، وتاريخ الفن على وجه التحديد فقد استعرض هذه الفنون ومراحل تطورها وارتباطها باحوال السكان الاقتصادية والاجتماعية .

جميع هذه الدراسات قدمت تحديدا لمفاهيم الموسيقى والغناء والرقص كل من وجهة نظرها وحسبما جاءت به تاكيداتها

---

[*] يقدم الباحث جزيل شكره للاستاذ الملحن الكبير جعفر الخفاف لما ابداه من ملاحظات قيمة .

[*] سوف نتابع هذا الموضوع في بحث يتناول العالم العربي يليه بحث ثالث يتناول العراق بشكل خاص ، ونشير الى ان هذا البحث محاولة اولية تحتاج الى متابعة .

(٤) – ١ – الموسيقى :

لاجل تحديد مفهوم الموسيقى ومعنى الموسيقى لا بد من الذهاب الى لسان العرب لمعرفة عروبة هذه المفردة .

لم تظهر هذه المفردة في لسان العرب مما يعني ان العرب لم يستعملوها فهي اذن " اعجمية " اجنبية ، فقد تناول ابن منظور * في اللسان : الطرب الفرح والحزن ، والطرب خفة تعتري عند الفرح او الحزن او الهم وقيل حلول الفرح وذهاب الحزن (١) طروب ، رجل طروب ومطراب كثير الطرب واستطرب طلب الطرب واللهو (٢)

اما في المنجد في اللغة فقد وردت موسيقى وهي فن الغناء والتطريب ، والعامة تقول " موزيكا" وتطلقها على بعض الات الطرب والموسيقي من تعاطى الموسيقى (يونانية) (٣) اذا اشار هذا المنجد ان مفردة موسيقى ليست عربية الاصل بل يونانية .

وورد تحديد مفهومها في الدليل الموسيقي العام على انها كل صوت يحدث اثرا لذيذا في النفس ، يحرك الروح والشعور ولا فرق بين صوت انسان او صوت الة (٤)

وعرفت بانها الاداء الصوتي فكانت حنجرة الانسان الاولى بين الالات الموسيقية في تاريخ البشر كما ان الاكف كانت الوسيلة الاولى للاداء الايقاعي (٥)

ولقد ورد في قاموس Webster لتحديد الموسيقى انها فن وثقافة وهي سلسلة من الاصوات تسترضي الاذن تتسم باللحن والانسجام ولها لغة تكتب عادة او تطبع (٦)

(٤) – ٢ – الغناء :

نعود الى ابن منظور لنرى في تفسيره للطرب تفسيرا للغناء فلا يحصل الطرب الا عبر الغناء ، اما في المنجد في اللغة فوردت مفردة الغناء على انه من الصوت ما طرب به ، والاغنية وجمعها اغاني ما يترنم ويتغنى به (٧)

الاغنية في اساسها التاريخي شعر ، فهي من الحركات الايقاعية الشفاهية التي تطورت الى اللغة والتي تشعبت فيما بعد الى كلام شعري وكلام اعتيادي كان هو وسيلة التفاهم في الحياة اليومية بينما اتجه الكلام الشعري ليصبح اكثر مناسبا للطقوس العامة والخيال والسحر والايقاع (٨)

وفي قاموس Webster وردت مفردة sing يغني ، وتعني نطق الكلمات او الاصوات مع الالحان الموسيقية او اداء اصوات جميلة مثل زغاريد الطيور ، ويستند الغناء الى الادب والشعر واللحن الموسيقي ويقود الى هدوء الاعصاب والى النوم بالنسبة الى الاطفال (٩)

---

* ابن منظور :

هو الامام العلامة جمال الدين الافريقي ابي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الانصاري الافريقي المصري المتوفى في سنة ٧١١هـ . (١٣١١) م.

(٤) – ٣ – الرقص :

لم ترد مفردة الرقص في لسان العرب ولعلها تدخل ضمن ما تعنيه مفردة الطرب التي اشرنا اليها ، وما وجدنا لها مكانا في المنجد في اللغة فحاولنا ان نتعرف على ما تعنيه في " المعجم الوجيز " فاشار هذا المعجم الى رقص رقصا : تنقل على ايقاع ونغم ، كما يرد معناها اضطرب واسرع ، ورقصه ترقيصا : اعده للرقص وحمله على الرقص ، والرقص : تحريك الجسم على ايقاع ونغم (١٠) الرقص والموسيقى والشعر (الغناء) شيء واحد منذ البدء جميعها مصدرها الحركات الايقاعية لجسم الانسان اثناء انهماكه بالعمل توزعت هذه الحركات الايقاعية ضمن عنصرين جسمي وشفهي فاصبح الاول مصدرا للرقص (١١) .

ويؤكد قاموس Webster ان dancing وهي تعني الحركات او القفزات بخطوات منتظمة متناغمة مع الموسيقى وبرشاقة الى الاسفل و الاعلى والى الخلف والى الامام (١٢)

(٥) جغرافية الموسيقى music geography :

تشير بعض ادبيات الجغرافية الى ان جغرافية الموسيقى هي احد فروع جغرافية المدن ، ويشير البعض الاخر الى انها احد فروع الجغرافية الحضارية : نحن نميل الى الرأي الثاني باعتبار الموسيقى (الغناء) والرقص هي نشاطات ثقافية تعد جزء من المركب الحضاري لكل امة .

تدرس هذه الجغرافية انتاج واستهلاك الموسيقى فترسم الخرائط والاطالس التفصيلية لذلك ، وكانت الدراسات الاولى لها قد ظهرت في عقد الستينات من القرن الماضي واتسعت ونضجت في عقد السبعينات منه . وكان الرواد الاوائل لهذا الحقل هم الجغرافيون المهتمون بحقل الجغرافية الحضارية والثقافية على وجه التخصيص cultural geography

لقد ركز الجغرافيون الذين اهتموا بهذا الحقل على العلاقة ما بين البيئة الجغرافية وهذا النشاط الذي يعبر عن الوجدان فاعتبروا هذا النشاط هو جزء من مظاهر سطح الارض الحضارية (البشرية)

تاتي اهمية جغرافية الموسيقى من اهمية الصوت باعتباره وسلة (حية) لنشر الافكار والثقافة ، فسماع الموسيقى والاصغاء اليها يعيد الذكريات ويولد الصور عن الماضي وعن الحاضر ويبعث على التامل للمستقبل .

تدرس جغرافية الموسيقى :

- الجذور التاريخية للموسيقى
- انماط الموسيقى
- انتشار الموسيقى
- الطلب والاستهلاك
- الموسيقى اداة للتواصل الاجتماعي

- تحليل المفردات الموسيقية (النوتة والسلم والموسيقي)

ولعل من بين اشهر المراجع التي يمكن الاستفادة منها هي :

- Adam Krims (2007) music and urban geography – routledge .N , y
- اعداد متفرقة من مجلة National Geography
- فاطمة الظاهر وسالم حسين الامير – جغرافية المقام العراقي
www.watar7.com7News-details

(٦) الموسيقى (الغناء) الرقص / خلفية تاريخية :

بعيدا عن المصادر والمراجع فاننا نرى ان الرقص قد سبق الغناء ذلك لان الغناء احتاج الى تطور قابلية الانسان على النطق ثم الكلام ، والموسيقى هي الاخرى قد سبقت الغناء للسبب ذاته ، فالرقص حالة انفعال لا تحتاج الى الات فهي حاجة بايلوجية لا تحتاج الى مدنية ، واصبحت الموسيقى ثم الغناء فيما بعد يعمقان حالة الانفعال

فنحن نرى ان التسلسل التاريخي لممارسة الانسان لهذه الفعاليات ذات التعبير الوجداني هو : الرقص ثم الغناء ثم الموسيقى وهكذا ندرك ان الموسيقى حالة مدنية تدفع اليها الحاجة البايلوجية (العاطفة) ، وقد ارتبطت بداياتها التاريخية بتقدم الانسان مدنيا وتطور قدرته على صنع الالات الموسيقية الاولى البسيطة والتي ساعدت بدورها على تطور هذه الفنون فالغناء حالة عفوية تعبيرية تعبر عن الحبور والسرور والفرح ، فنحن اذ نرى الانسان يغني ويرقص فهو مشهد لحالة الذروة من الفرح والمسرة لديه .

ولا بد من الاشارة الى ان الغناء في مراحله المبكرة كان هو الادب باعتباره كان كلمات تقال اكثر منه حروف تكتب ، وهو ينشأ في ترانيم دينية وطلاسم سحرية يتغنى بها الكهنة عادة وتنتقل بالرواية من ذاكرة الى ذاكرة (١٣) فالغناء بدأ اناشيد دينية ثم مارسه الشعراء لينافسوا الكهنة في اليونان القديمة فاصبح الشاعر مغنيا لاناشيد البطولة وموسيقيا صاغ اقاصيصه صياغة الالحان ليتعلم بها الشعب وملوكه (١٤)

لا شك ان رقص الانسان وغناء الانسان هو تقليد لرقصات وغناء الطيور المتمثل بزقزقة العصافير وتغريد البلابل وهديل الحمام ومناجاتها ، من ذلك نعتقد ان انسان الغابة هو اول من رقص وغنى ، ولا زال حتى يومنا الحاضر سكان الغابات في الامزون والكونغو ، اكثر طربا واسرع استجابة لاسباب الطرب من غيرهم .

المعروف ان علماء التاريخ والباحثين لاسيما في التاريخ القديم يضعون تنظيراتهم العلمية ، تلك المتعلقة بحركة التطور ، استنادا الى نتائج التنقيبات عن اثار اقدم الحضارات في العالم وهي السومرية والاكدية والبابلية والاشورية

لقد افادت هذه التنقيبات التي رسمت ملامح الحضارات العراقية القديمة الى ان الانسان العراقي القديم كان اول من غنى وانشد وعزف باعتباره كان الراعي الاول للحيوانات في التاريخ ثم كان المزارع الاول (١٥)

لقد عرفت بلاد سومر اولى الانظمة الموسيقية في التاريخ ونستشهد بما اشارت اليه الدكتورة " ناريا " رئيس المجلس الدولي للموسيقى حيث قالت : ان النظام الموسيقي الاقدم الذي نعرفه هو النظام السومري وربما كانت ذروته ، قبل ٦٠٠٠ سنة مضت ، هي الوضع الاكثر قدما في الافكار الموروثة حتى من عصور ما قبل التاريخ ، وكانت الموسيقى جزءا ضروريا من الحياة الطقوسية السومرية (١٦) .

والغناء بدا قبل الموسيقى ، عرفه ومارسه الانسان ، بدأ بداية عراقية فيشير الباحثون الى انهم لا يقدرون على معرفة الغناء في العهد الذي سبق السومريين وسبق الكتابة ، وقد اشارت الكتابة السومرية في شكلها الصوري (٣٥٠٠ق.م) وبعد حل رموزها ان العلامة المسمارية التي تلفظ " نار" تعني مغني وهي تمثل في الاصل رأس ابن اوى (١٧) وتم تفسير ذلك على ان صوت ابن اوى من الاصوات التي تثير الحزن والشجن من ذلك كانت صفة الالحان السومرية هي الحزن

لقد توصل عالم الاثار الشهير " صموئيل كريمر" الى اول اغنية عاطفية في الحب (ليست دينية) تدور حول عروس مبتهجة وملك اسمه (شو – سين) رابع ملوك السلالة الثالثة في اور ، قبل (٤٠٠٠) سنة ، وهذا جزء من الاغنية :

ايها العريس الحبيب الى قلبي

جمالك باهر ... حلو ... كالشهد

ايها الاسد الحبيب الى قلبي

جمالك باهر ... حلو ... كالشهد (١٨)

لقد اشرنا الى ان كلمة " نار " السومرية تعني مغني وعازف وكلمة " كالا" تعني مغنية وعازفة .

وفي الغالب ان المغني عازف يحسن العزف على آلته ، وخير مثال الملك " شو لكي " الذي كان يشجع الغناء والعزف وكان يعزف على (٨) الات موسيقية .

تدل الاقوال السومرية ، المتعلقة بالموسيقى، الاتية على اهمية الموسيقى لديهم :

- اذا حفظ المغني اغنية واحدة ولكنه يجيد عزفها فهو مغني بحق
- المغني / الموسيقي الجيد هو الذي يعرف كيف يوزن التة ويدعها ترن عاليا وما عدا ذلك فهو مغني / موسيقى فاشل (١٩)

يطلق على البعض من المغنين الذين يجيدون العزف على الالة الموسيقية " زوميرو " – zommero " باللغة الاكدية و " ايشتالو – esstalo" باللغة السومرية ، وكان اول ظهور لهم في مدينة (ماري) على نهر الفرات قرب البو كمال ، وتعد المغنية " اور ناتشي " من هذا النوع من المغنيات العازفات على

القيثارة ، وهي ايضا راقصة كما يدل على ذلك تمثالها ، حيث ترتدي سروالا محكم الشد على رجليها والقيثارة التي تحملها ، وهو تمثال محفوظ في معبد " نيني زازا : في ماري الاثارية (٢٠)

والحضارة البابلية هي الاخرى عرفت الفنون ، الرسم والنحت والنقش ، القليل البروز، والعمارة الى جانب الموسيقى فكان لدى البابليين الات طرب كثيرة : ناي وقانون وقيثارة ومزامير القرب وطبول وقرون ومزامير من الغاب وابواق وصنوج ودفوف وكانت لهم فرق موسيقية ومغنون يعزفون ويغنون فرادا ومجتمعين في الهياكل والقصور وفي حفلات الاثرياء (٢١) .

اما عن فنون الموسيقى والغناء والرقص في الحضارة الاشورية فلم تتم اية اشارة من قبل الباحث الكبير " ديو رانت" في الفصل الاول من الباب العاشر / الجزء الثاني من المجلد الاول / وكان هذا الباب يتناول " اشور " سوى ذكره ان العرب الاسرى الذين تم اسرهم من قبل اشور بانيبال سخرهم لاعادة بناء قصر : عسرهدن" فكان هؤلاء الاسرى يقضون نهارهم في صنع اللبنات ويرغمون على العمل فيه اثناء عزف الموسيقى (٢٢)

وتشير ادبيات الاثار المصرية على تعاون الدين المصري مع الثروة المصرية على الايحاء بالفن وانمائه ، فقد كان الدين يقدم للفنانين الحوافز والافكار ويوحي اليهم بروائع فنهم ، ولكنه فرض عليهم من العرف والقيود ما شده الى المعبد باقوى الروابط (٢٣) وتتسع هنا مفردة الفن لتشمل الرسم والنحت والنقوش والزخرفة والعمارة الى جانب الغناء والموسيقى والرقص ، كانت نخبة المجتمع الفرعوني تنعم باحسن عيشة وكانت اذا ما فرغت من عملها اليومي تمتع انفسها بنغمات الموسيقى الهادئة الشجية على العود ، الذي كان يصنع من عدد قليل من الاوتار تمتد على لوحة ضيقة رنانة وعلى القيثارة والصلاصل وهي طائفة من الاقراص الصغيرة تهتز على اسلاك ، والناي ، وكان للهياكل والقصور فرق من العازفين والمغنين ، وكان من موظفي قصر الملك " مشرف على الغناء " يقوم بتنظيم العازفين والمغنين الذين يسلون الملك . كانت استنفروا نفر وريمري بتاح نابغتي الغناء في ايامهما في عصر " توت عنخ امون " لقد كانتا تجيبان كل رغبة من رغبات الملك بغنائهما الشجي (٢٤)

(٧) واقع الموسيقى (الغناء) و الرقص اليوم :

اشرنا في ما سبق الى الموضوعات التي تتناولها جغرافية الموسيقى ، وبشكل عام لا بد من التنويه الى ان الموسيقى (الغناء) والرقص كاساليب تعبيرية عن الوجدان لا جغرافية لها ، أي انها موجودة في جميع اقاليم ومناطق العالم ، ولعل جغرافيتها تتحدد بانماطها وبالادوات المستعملة فيها ، كما اننا يمكن ان نلاحظ التباين الجغرافي لها في تجارتها واسواقها وفي الساعات التي يصرفها البعض للسماع اليها وممارستها ، وبهذا الصدد اننا في هذه المقالة العلمية سوف نركز على التقسيم المعروف بالموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية ، فالاولى تستند الى الة العود والكمان والقانون والناي والطبلة بينما تستند الثانية الى القيثارة والساكسفون والفلوت والطبل الكبير .

ان اختلاف هذه الالات يعود الى البعد الاقتصادي الاجتماعي ، فبشكل عام تبدو الموسيقى الشرقية موسيقى الريف والعمل الزراعي وتربية الحيوان وما تتسم به هذه الحياة الريفية ، الزراعية والرعوية ، من هدوء ومن بطء الحركة ، بينما تبدو الموسيقى الغربية موسيقى المدن بما تضمه من مصانع وحركة نقل وتجارة سريعة ، وهذه السمات الرئيسة لا تعني ان الموسيقى الشرقية اقتصرت على الريف واستمرت بعيدة عن المدن ، كلا انها بالضرورة والحاجة دخلت المدن فكانت وسيلة للتعبير الوجداني لسكان المدن ايضا ، ومن المتوقع ان هذه الموسيقى ، ونعني بها الموسيقى والغناء والرقص ، قد تفاعلت مع مشاعر السكان الحضر الذين اضافوا اليها وحولوها الى موسيقى شرقية / ريفية / حضرية .

كذلك الحال بالنسبة الى الموسيقى الغربية فهي ان كانت ولادة المدن فليس ثمة ما يمنع من خروجها من الحدود البلدية للمدن للوصول الى الريف .

تدخل خصائص الجغرافية المحلية في التباين لنمط الموسيقى فموسيقى الصحراء حيث يمارس البدو انغاما وغناءا ورقصا تختلف عن موسيقى السهوب وموسيقى سكان الجبال وابناء القطب الشمالي ، وهكذا تدخل البيئة الجغرافية عاملا مهما في تحديد ادوات التعبير الموسيقي (الالات) فهذه الادوات هي من نتاج البيئة مثل اية ادوات يستخدمها الانسان في حياته المدنية ، كما ان الحركات الايقاعية (الرقص) وكلمات الشعر الغنائي تجمع ما بين تاريخ المجموعة البشرية عادة ومحيطها الجغرافي او بيئتها الجغرافية .

هكذا نرى ان تباين النمط الموسيقي يعود الى التباين الاقتصادي الاجتماعي وتقع تفصيلات هذا التباين مرة اخرى تحت تفصيلات تباين البيئات الجغرافية المحلية .

ناخذ من الموسيقى الهندية مثالا فنراها موسيقى استندت كثيرا على خلفية تاريخية فتقول الاساطير الهندية وديانة براهما ان براهما خلق العالم بواسطة الموسيقى ، وتعطي هذه الاسطورة فكرة عن اهمية الموسيقى في الحضارة الهندية لا سيما علاقتها المبكرة بالعبادات والطقوس الدينية .

ويشير تاريخ الحضارة الهندية الى ان نشأة الموسيقى الهندية تعود الى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد حيث ارتبطت الانغام الاولى باناشيد " الفيدا " *

لقد بدأ التدوين في الموسيقى الهندية في القرن الثامن قبل الميلاد بعدما احتكت الشعوب الهندية بالشعوب السامية الساكنة على الحوض الشرقي للبحر المتوسط .

ان الهند بمساحتها الواسعة البالغة ٣٢٨٧٢٦٣كم^{٢} والتي تعد سابع اوسع بلد من حيث المساحة في العالم (٢٤) ويعيش فيها (١١٨٢١٠٥٠٠٠) نسمة في (٢٠١٤) (٢٥) أي ٦/١ سكان العالم او ما يعادل

* مجموعة من الاسفار تعني " كتاب المعرفة : وكل سفر يتالف من مجموعة اناشيد وهي شبيه بالانجيل عن : ول ديورانت (١٩٦٨) قصة الحضارة – م١ – ج٣ – الطبعة الثالثة / جامعة الدول العربية ، الادارة الثقافية ، ص ١٣٨ .

١٧% يتوزعون على (٢٨) ولاية اتحادية و (٧) مناطق او اقاليم اتحادية ، لابد من ان تتنوع فيها اساليب التعبير الوجداني فيها، في الموسيقى (الغناء) والرقص .

وبشكل عام يقسم الباحثون الذين تناولوا الموسيقى الهندية الى موسيقى الشمال وموسيقى الجنوب ، وقد تبلور هذا التقسيم في الفترة الممتدة ما بين القرن الرابع عشر والقرن السابع عشر ، وهي فترة الحكم الاسلامي ، يطلق على موسيقى الشمال الموسيقى الهندوسية وعلى موسيقى الجنوب الكارناكتيكية نسبة الى اقليم كارناتاك

تتنوع هذه الموسيقى الى عدد كبير من الانواع فتشير المصادر الى :

- تقليدية كلاسيكية
- كرناتية
- هندوسية
- فلكلور
- ثمري
- ددرا
- غزل
- قوالي
- جايتي
- كاجري
- الصوفية المعاصرة
- بانكرا
- فيليمي
- البوب
- الروك
- بانكلا
- راكا
- البلبوز
- الجاز

ان الموسيقى الهندية من بين اكثر انواع الموسيقى الاسيوية انتشارا فهي ذات رقعة جغرافية واسعة تتخطى اقليمها الوطني وتتخطى اقليمها الجغرافي الذي يسع لبلدان جنوب شرق اسيا ليتم سماعها والاصغاء اليها في مناطق واسعة من العالم ، ساعد على انتشارها الجغرافي موقع الهند فصحيح ان اطرافها الغربية

واطرافها الشرقية واطرافها الجنوبية محاطة بالبحر العربي والمحيط الهندي وجهاتها الشمالية مسورة بجبال الهملايا الشاهقة والمعقدة ، لكنه تتخلل هذه الجبال وديان تسهل الحركة والانتقال بينها وبين البلدان الواقعة الى غربها ووديان اخرى تسهل الحركة والانتقال بينها وبين البلدان الواقعة الى شرقها .

وبذلك ساعدت هذه الممرات الجبلية على وصول التاثير الثقافي لامة الهند شرقها ، عبر جنوب شرق اسيا ، حتى استراليا والجزر المنتشرة شماليها ، وغربها حتى السواحل الشرقية لحوض البحر المتوسط .

اضافة الى الموقع الجغرافي فان استعمار الهند من قبل بريطانيا ومن ثم دخولها عضوية الكومنولث البريطاني سهل كثيرا على نشر الثقافة الهندية في الجزر البريطانية وفي عموم اوروبا وعبور المحيط الاطلسي الى سواحله الغربية في كندا والولايات المتحدة الامريكية ، وفي بلدان امريكا اللاتينية ، ومن بين عناصر هذه الثقافة هي اساليب التعبير الوجداني في الموسيقى والغناء والرقص .

ان هذه الفنون الهندية معروفة وترغب فيها اعداد كبيرة من سكان العالم ، وقد اتسعت مديات التمتع بها جغرافيا لكافة قارات العالم لا سيما بعد انتشار قنوات التلفاز الفضائية ، من خلال الافلام ومن خلال المسلسلات وحفلات الغناء والرقص.

ان اتساع الافق الجغرافي للموسيقى الهندية كان عاملا مهما في نشرها عالميا وكذلك عاملا مهما في التلاقح مع الثقافات الموسيقية لا سيما الغربية ، من ذلك تشير المراجع التي تتناول انواع الموسيقى الهندية الى موسيقى البوب والى موسيقى الجاز وهي تؤدى بالات شرقية هندية وبالات غربية ايضا .

ان موسيقى الافلام التي نشاهدها تعكس لنا انطباعا بان هذه الموسيقى هي تقترب الى النمط الاوبرالي فهي تستند في تعبيراتها الى الغناء والى الرقص الجماعي وهي دوما تعبر عن " قصة " ومع مشاهدة اللوحة الهندية الفضائية الموسيقية الراقصة نحس باثر البيئة الجغرافية عليها حيث الريف الهندي المزدحم وحيث ترتفع كثافة السكان الى بضعة الاف من البشر في الكيلو متر المربع الواحد ، فتعمل هذه الالاف منتشرة في ربوع حقول الشاي وحقول الرز وحقول القطن وغيرها اذ يعتمد نمط الزراعة الكثيفة intensive agriculture ، التي تستثمر اعدادا كبيرة من الايدي العاملة الزراعية ، فلا شك من ان هذه الالاف العاملة في الحقول الزراعية تغني اغاني العمل تصدح حناجرها باصوات عالية محاولة الوصول الى جنبات الحقول البعيدة

كما ان مشاهد هذه اللوحات الغنائية الراقصة يشعر وكان هذه اللوحات تحاول ان تعبر عن موسيقى الطيور المتنوعة المزدحمة في غابات " المونسون " ذات الاشجار السامقة والكثيفة.

كان من المؤمل حصولنا على بيانات احصائية تؤشر لنا سعة الانتشار الجغرافي للموسيقى والغناء والرقص الهندي ، الا اننا للاسف لنم نحصل على مثل هذه البيانات لا من مراجع اليونسكو ولا من الجمعيات والاتحادات الموسيقية التي تركز ادبياتها عادة على " السلم الموسيقي"

اما بالنسبة الى الصين فالمعروف ان للصين بعد حضاري تاريخي ومن البديهي ان يشكل الفن باشكاله ووسائله كافة جانبا مهما من الحضارة الصينية القديمة ، من الفنون التشكيلية وفنون العمارة والفنون المهنية الى جانب فنون التعبير بالموسيقى والغناء والرقص .

لقد تناولت الدراسات المعنية بفنون الموسيقى والغناء في الصين تفصيلات واسعة عن تاريخ الموسيقى والغناء والرقص وعن السلم الموسيقي وتطور هذا السلم وتاثره وتاثيره في السلم الموسيقي الذي تعتمده الشعوب لا سيما تلك المجاورة للامة الصينية .

الصين بلد واسع المساحة تبلغ مساحته ٩٦٤٠٨٢١كم^{٢} فهي ثالث بلد في العالم بعد روسيا الاتحادية (١٧٠٧٥٢٠٠) كم^{٢} وكندا (٩٩٨٥٠٠٠) كم ^{٢} يعيش فيها ١٣٥٧٠٠٠٠٠٠ نسمة (٢٦) وهو عدد يشكل حوالي (٥/١) سكان العالم البالغ ٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠ نسمة في الوقت الحاضر وهذه الاعداد تعني ان الصين تضم اكبر تكتل بشري في العالم يتوزعون على ٢٢ مقاطعة وخمس مناطق ذاتية واربع بلديات تدار مباشرة .

وهذا الحجم الديمغرافي الكبير يتوزع اثنوغرافيا ما بين ٥٦ قومية او مجموعة اثنوغرافية اكبرها قومية الهان التي تشكل ٩٢% من اجمالي سكان البلاد .

لا شك ان هذا الحجم السكاني والتنوع الاثنواغرافي له دور كبير في تنوع الفنون الصينية ومنها فنون الموسيقى والغناء والرقص .

الحقيقة لا زال الانتشار الجغرافي للموسيقى الصينية دون مستوى الانتشار للموسيقى الهندية ، وهذا يعود الى البيئة الجغرافية ، فالصين محاطة بسور من المناطق شبه الجافة " السهوب الفقيرة " القليلة السكان يليها سور واسع من المناطق الجافة الصحراوية ولعل هذا الواقع هو الذي دفع " المغول " للتوجه غربا وترك هذه المناطق الفقيرة خلف ظهورهم حتى وصلوا ربوع بلاد فارس واستمروا ليصلوا مدينة بغداد مركز حضارة العالم حينذاك .

لم يقتصر الامر على المحاصرة الجغرافية لفنون الصين وانما عزلتها في تاريخها الحديث والقريب " الثورة الشيوعية " بقيادة الزعيم " ماوتسي تونغ " والتي اضطرت ، خوفا من التامر عليها ، ان تمنع الدخول الى الصين وان تمنع الخروج منها ايضا ، ولكن بعد سياسة الانفتاح على العالم التي تبناها الحزب الشيوعي الصيني منذ ثلاثة عقود مضت ، وكان من بين هذا الانفتاح الفضائية الصينية العربية التابعة الى التلفزيون الصيني المركزي ، اصبح التعرف على الموسيقى الصينية سهلا ، والاستمتاع بها والاصغاء اليها امرا ميسورا .

تشير ادبيات الفلكلور والغناء الشعبي وتلك التي تناولها التاريخ الحديث للموسيقى الصينية الى ان هذه الفنون ومنذ انتصار الثورة عام ١٩٤٩ ، اتسمت بانها تعكس التنظير الذي يقول " الادب للشعب " والمقصود هنا بالادب في اوسع معانيه ، الادب والفنون والثقافة وجميع اشكال الفكر .

فلا شك ان هذا الموقف يجعل الاغنية الصينية هي " اغنية الثورة " وهي " اغنية العمل في الحقل وفي المصنع "

فكما هو معروف فان الادب الاشتراكي والفنون ضمن المدرسة الاشتراكية ترى ان هذه الجهود الابداعية لا بد من ان توظف لصالح الناس ولا مكان بنظرها للادب وللفنون الليبرالية (العابثة) .

نظن ان هذا التشدد قد خف لدرجة كبيرة فمن خلال متابعتنا للفضائية الصينية (باللغة العربية) نلاحظ ثمة فرصة واسعة للموسيقيين والمغنيين والراقصين الصينيين للتعبير الوجداني والوجداني (جدا) وهي جزء من حالة الانفتاح الاقتصادي الاجتماعي على عالم اليوم .

لا بد من التنويه الى ان الفنون الصينية لا زالت تحت تاثير مدرسة الالتزام بخدمة الشعب وهو التزام ايجابي يمنع لحد ما الانخراط الى الليبرالية (المضرة)

ان الاصغاء للغناء والموسيقى الصينية الشعبية يعكس اثر بيئة السهوب فالايقاع الشائع هو ايقاع حركة حوافر الخيل وننوه الى ان معظم ممارساتهم الفنية الموسيقية لا تخلو من مشاهد الخيل في عالم الغرب حيث الثقافة الغربية في اوروبا وامريكا (الانجلو سكسونية كندا والولايات المتحدة الامريكية) وفي استراليا ونيوزلنده ، فان الادب و الثقافة عموما ومن بينها الموسيقى والغناء والرقص تتسم بالليبرالية الواسعة ، وهنا نلاحظ موسيقى ورقص النخبة vip وموسيقى ورقص الشعب وهو ما يشكل الفلكلور لشعوب وامم البلدان الغربية البالغ تعدادها ١١٠٧٢٦١٠٠٠ نسمة في ٢٠١٤ * تتوزع شعوب وامم الغرب على مساحة واسعة هي مساحة القارة الاوروبية البالغة ٢٣٠٤٩٠٠٠كم^{٢} ومساحة الولايات المتحدة ٩٨٣٣٥١٧كم^{٢} ، وكندا ٩٩٨٤٦٧٠كم^{٢} ، ومساحة استراليا ٧٦٩٢٠٢٤ ، ونيوزلندة ٢٦٨١٠٧ كم ^{٢} ، وهكذا فان مجموع هذه المساحات هو ٣٠٨٢٧٣١٨كم^{٢} (٢٧) .

كما تتوزع هذه الامم على مجموعة من القوميات و الاثنوغرافيات الرئيسة ومنها الانجلوسكسون والجرمان واللاتين والسلاف ، بشكل عام يلاحظ ان فنون شرق اوروبا هي غير تلك الفنون التي تسود غرب اوروبا وهذا الاختلاف يعود الى اختلاف المذاهب الدينية والى اختلاف تاريخ التكوين الثقافي ، واليوم في الساحة الغربية تمارس الفنون الشعبية الى جانب فنون (الغرفة) او الصالة مما نتج عنه موسيقى النخبة vip فرقص الفالس valse ومشاهدة الاوبرا تعد من الفنون التي تمارسها الطبقة الارستقراطية .

تمتد افريقيا الزنجية على كافة جهات القارة فيما عدا مساحات البلدان العربية ، مصر وليبيا والجزائر وتونس والمملكة المغربية . للامة الزنجية تاريخها وخصائصها المميزة لها في الفلكلور والفنون الشعبية ، تبلغ مساحةافريقيا عموما ٢٢٣٤١٠٠٠ كنم مربع وعدد سكانها ٩٣٦٩٠٠٠٠٠ نسمة في ٢٠١٤ (٢٨)

* يتوزع سكان العالم الغربي كما يلي : قارة اوروبا ٧٣٨٠٠٠٠٠٠كم نسمة ، الولايات المتحدة الامريكية ٣٠٩٣٢٦٠٠٠ نسمة / كندا ٣٥٥٤٠٠٠٠ نسمة ، / استراليا ٤٣٤٩٥٠٠٠ نسمة ، نيوزلندة ٩٠٠٠٠٠ نسمة / Demographic yearBook2014

في افريقيا الزنجية تختلط الموسيقى والغناء والرقص في " جوقة " انفعالية عاطفية تعكس اجواء الغابات الاستوائية والغابات المدارية الكثيفة بمحتوياتها من الحيوانات الكاسرة ، فيعيش الانسان هناك بحذر فجاءت موسيقاه السريعة ورقصاته تحمل اثار ذلك الخوف والحذر .

قد تبدو الامة الزنجية واحدة الا ان ثمة اختلافات حصلت بين شعوبها فافريقيا الغربية وقعت تحت النفوذ الفرنسي بينما وقعت افريقيا الشرقية تحت النفوذ الانجليزي والايطالي ، فلا شك ان لهذا النفوذ الاجنبي من تاثيرات في اداب وفنون هذه الامة ، الا انها اثار لا تقدر على طمس معالم الغناء الشعبي والفلكلور .

في عالمنا العربي الذي يمتد على مساحة ١٤١٠٠٠٠٠كم^{٢} ينتشر عليها العرب ، في جنوب غرب اسيا وفيه ١٤٢٦٨٥٠٠٠ نسمة وفي شمال افريقيا وفيه ٢٥١٣١٥٠٠٠نسمة (٢٩) . وبذلك فان العالم العربي عالم افرو اسيوي .

صحيح ان هذا العالم يتصف بتاريخ واحد ولغة فصحى واحدة ودين واحد شكل معظم قيمه وثقافته ، الا ان الجزء الافريقي منه قد وقع تحت تاثير الصحراء جنوبه فجاءت الموسيقى والاغاني وحتى الرقصات الصحراوية تشكل جزءا مهما من فنونه ، على ان تاثير حوض البحر المتوسط ، وهو تاثير اوربي ، بدأ يظهر على هذه الفنون منذ القرن التاسع عشر .

اما المشرق العربي ، في جنوب غرب اسيا ، فقد وقع تحت تاثير الفنون التركية شماله والفنون الفارسية شرقه ، فالموسيقى هنا تحمل بصورة واضحة المؤثرات الفارسية والتركية حتى في مفردات الاغاني .

برز الغناء المصري في مكانة ريادية فهو المسموع في مشرق العالم العربي وفي مغربه ينافسه في ذلك الغناء والموسيقى اللبنانية ، اما الغناء الخليجي فقد تسارع في حيز انتشاره الجغرافي في العالم العربي وما يجاوره لا سيما في العقود الثلاثة الاخيرة ، وسوف ناتي على تفصيلات جغرافية الموسيقى في العالم العربي في بحث خاص .

النتائج

لقد جاءت نتائج البحث متفقة مع الفرضية التي تم تحديدها فاساليب التعبير الوجداني بالموسيقى (الغناء) والرقص تقدم لدرجة ما حالة انعكاس للبيئة الجغرافية ، ولدرجة اخرى لقنوات التواصل والاحتكاك بين الجماعات البشرية عبر التاريخ ، فهي اذن (عواطف وجغرافية وتاريخ)

المراجع

١- ابن منظور (الامام العلامة جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الانصاري الافريقي المصري) – لسان العرب – المجلد الاول – أ – ب(تحقيق عامر احمد حيدر) منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية / بيروت / ص ٦٤٨

٢- المصدر نفسه ، ص ٦٤٩

٣- لويس معلوف (١٩٩٦) المنجد في اللغة ، الطبعة الخامسة والثلاثون ، مؤسسة انتشارات ، قم ، دار العلم ، بيروت ، ص ٧٧٩

٤- توفيق الصباغ (١٩٥٠) الدليل الموسيقي العام في اطرب الانغام ، مطبعة الاحسان ، بغداد ، ص٥

٥- مصطفى كامل الصواف ، تاريخ الحياة الموسيقية ، دار اليقظة العربية ، دمشق ، ص٢

٦- Websters Columbia Concise- Dictionary of English language.n.y-London. P. 476

٧- لويس معلوف (١٩٩٦) المرجع السابق ، ص٥٦١

٨- Websters – op.cit.-p.676

٩- Ibid

١٠- دار احياء التراث العربي (مكتبة اللغة العربية) المعجم الوجيز ، الطبعة الاولى ، بيروت ، ص٢٧٧

١١- Websters – op.cit.-p.187

١٢- Ibid

١٣- ول ، ديورانت (١٩٦٥) قصة الحضارة ، المجلد الاول ، الجزء الاول (الطبعة الثالثة) جامعة الدول العربية (الادارة الثقافية) ص ١٣٢

١٤- المصدر نفسه

١٥- سهيل قاشا (٢٠١٠) عراق الاوائل ،حضارة وادي الرافيدن ، الطبعة الاولى . العارف للمطبوعات ، بيورت ، ص ١٥٨

١٦- نعيم عبد مهلهل (٢٠٠٧) الموسقى السومرية (الروح اولا) – مجلة الاداب السومرية ، العدد الاول ، السنة الاولى (كلية الاداب ، جامعة ذي قار) ص ٣٩

١٧- فوزي رشيد (١٩٧٨) المسرح بابلي وليس اغريقي / مجلة المورد (٣) المجلد السادس عشر ، دار الشؤون الثقافية ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ص ٨٤ .

١٨- حسين الهلالي (٢٠٠٧) تمثال المغنية اورنانشي والغناء السومري – مجلة الاداب السومرية ، مصدر سابق ص ٤٣

١٩- فوزي رشيد (١٩٧٨) المصدر السابق / ص ٨٤

٢٠- حسين الهلالي (٢٠٠٧) المصدر السابق ، ص ٤٣

٢١- ول . ديورانت (١٩٦٥) مصدر سابق – المجلد الاول ، الجزء الثاني ، ص ٢٤٤

٢٢- المصدر نفسه ، ص ٢٩٥

٢٣- المصدر نفسه ، ص ١٤٨

٢٤- المصدر نفسه ، المجلد الاول ، الجزء الثالث ، ص ١٤٦

٢٥- u.N. Demographic year Book (2014) many pages

٢٦- Ibid

Ibid –٢٧

Ibid –٢٨

٢٩– عبد علي الخفاف (١٩٩٩) الوطن العربي ، ارضه ، سكانه ، موارده ، الطبعة الاولى ، دار الفكر للطباعة والنشر ، عمان ، الاردن ، ص ٤٢ ، ص ١٨٤ .